

تفسير أبي السعود

الحجر 21 22 وإن من شيء إن للنفي ومن مزية للتأكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء أي ما من شيء من الأشياء الممكنة فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا إلا عندنا خزائنه الطرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على أنه فاعله لاعتماده أو خبر له والجملة خبر للمبتدأ الأول والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الأموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلطين من خزائن أرزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الفائتة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول أيديهم مع كمال افتقارهم إليها ورغبتهم فيها وكونها مهياة متأتية لإيجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الإرادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الأموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخيلية وما ننزله أي ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الأشياء ملتبسا بشيء من الأشياء إلا بقدر معلوم أي إلا ملتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فإن ذلك غير متناه فإن تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء الكل في الإمكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا البيان سر عدم تكوين الأشياء على وجه الكثرة حسبا هو في خزائن القدرة وهو إما عطف على مقدر أي ننزله وما ننزله الخ أو حال مما سبق أي عندنا خزائن كل شيء والحال أنا ما ننزله إلا بقدر معلوم فالأول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان إنشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي إلى العلم السفلي كما في قوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وأرسلنا الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معاش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح مالحق أي أرسلنا الرياح لواقع أي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من إنشاء سحب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك أو ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائع بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائع أي المهلكات وقرء وأرسلنا الريح على إرادة الجنس فأنزلنا من السماء بعد ما أنشأنا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فأسقيناه كموه أي جعلناه لكم سقيا وهو أبلغ من سقينا كموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاءوا وما أنتم له بخازنين نفي عنهم ما أثبتة لجنابه بقوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قيل نحن القادرون على إيجاده وخزنه في السحاب وإنزاله وما أنتم على ذلك بقادرين وقيل ما أنتم بخازنين له بعد ما أنزلناه في

الغدران والآبار والعيون بل نحن نخرنه فيها ليجعلها سقيا لكم مع أن طبيعة الماء تقتضي
الغور وإنا لنحن نحي بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها